الفصل الثالث

علاقة الصهيونية بالاستعمار

الصهيونية والاستعمار:

وقد أعطيت البراءة الدولية الأولوية في المساعي الصهيونية، خاصة وأن اليهود كانوا مشتتين في جميع الدول الأوربية، فرغبت الحركة الصهيونية في أن يتنكر هؤلاء اليهود لقومياتهم، وأخذت تعمل على تجميعهم وحشد قواهم في فلسطين حتى يكوّنوا دولة خاصة بهم، وحتى يتحقق ذلك اعتبر هرتزل ومن جاء بعده الاستعمار الصهيوني الاستيطاني الإحلالي في فلسطين امتدادًا للإمبريالية الأوربية[1].

وبنى هرتزل على هذا المنطق الآمال في الحصول على الدعم الاستعماري الأوربي معلنًا بذلك ارتباط الحركة الصهيونية بعجلة الحركة الاستعمارية الأوربية، والعمل على تنفيذ مخططاتها والمشاركة في ممارساتها الإرهابية ضد الوطنيين. وانطلاقًا من هذه المعطيات أوضح هرتزل أن الدولة الصهيونية العبرية ستكون الحاجز الأمامي للسياسات

(١) إبراهيم أبو لغد، تهويد فلسطين، ص ٣٢.

الإمبريالية في الشرق حيث كتب يقول: «ستؤلف هناك جزءًا من المتراس الأوربي ضد آسيا، ومركزًا أماميًا للمدنية والحضارة الأوربية في وجه البربرية»[١].

ولكن تكوين هذا المتراس اصطدم بواقع الوجود العربي الذي عارض بدوره تدفق المستعمرين الجدد منذ المراحل الأولى. فأدرك هرتزل حتمية الصدام والصراع بين أتباعه المستعمرين والسكان الأصليين، وخرج بنظرية للتخلص من هؤلاء الوطنيين، فكتب في مذكراته يقول: «سوف نحاول تسريب السكان الوطنيين عبر الحدود، وذلك بتأمين مجالات الاستخدام لهم في بلدان العبور، على أن نسد أمامهم مجال العمل في بلادنا»[٢].

وأيًا ما كان الأمر فإن الظروف الدولية السائدة آنذاك جعلت استراتيجية العمل الصهيوني نحو التحالف مع دولة كبرى أو مجموعة من الدول لقاء تقديم الصهيونية خدمات وامتيازات لهذه الدول، وكان هرتزل في سعيه للحصول على البراءة الدولية من أجل قيام الوطن القومي في فلسطين،

(1) Herzle.Theodor: The Jewish state, p.30.

(2) Herzle. Theodor, The Complete Diaries vol.,. (New York 1960) pp. 88-100.

يدرك تمامًا أن اليهود في أوروبا يعيشون ضمن أطر دولهم؛ ولا يكوّنون دولة مستقلة تسعى لأخذ مكانها في الحركة الاستعمارية العالمية[١].

ومما يجدر ذكره أن المجتمع الأوربي كان بحاجة إلى حد أدنى من الخبرة التجارية لدى اليهود للاستمرار في التقدم، وأن عليه أن يتقبل اليهود بين ظهرانيه أملاً في اكتساب الخبرة والتوصل إلى مهارة اليهود نفسها. ولم يشرق القرن العشرون إلا وظهر في أوربا طبقة من المسيحيين الذين لم تقتصر مقدرتهم على مجاراة اليهود في الأعمال التجارية، بل تعدت ذلك إلى رغبتهم في التخلص من هؤلاء اليهود، هذا فضلاً عن أن تيار القومية الأوربية الحديثة قد حارب اليهود من ناحيتين، فلقد أدت هذه القومية منفعة للأوروبيين من جهة فشعروا بالعزة والكرامة، وضغطت على اليهود من جهة أخرى، الأمر الذي جعل اليهود يخترعون قومية خاصة بهم[٢].

وعلى ذلك، فإن صلة الاستعمار بالصهيونية صلة وثيقة، من قبل أن يعلن هرتزل دعوته، إذ بدأت هذه الصلة منذ أن قام

(١) أسعد رزوق، الصهيونية وحقوق الإنسان العربي، بيروت ١٩٧٣، ص ٥٥.
(٢) زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، بيروت ١٩٧٣، ص ١٨٤-١٨٦.

نابليون بحملته المشهورة على مصر، ثم على بلاد الشام. فقد سعى نابليون إلى استمالة اليهود لمعاونته في فتح عكا، ووعدهم بأن يعيدهم إلى القدس وأن يعيد بناء الهيكل ثمنًا لمساعدتهم له، فقد نبّه نابليون الدول الاستعمارية إلى استغلال اليهود في تحقيق أهدافها الاستعمارية، كما نبه هرتزل إلى إمكانية استغلال القوى الاستعمارية لتحقيق أحلام اليهود وإنشاء دولة لهم في فلسطين[1]، ويبدو أن معظم الدول من أقدم العصور كانت تستغل اليهود من الناحية الدينية ليساعدوها في تحقيق أطماعها التوسعية كما حدث مع الفرس في التاريخ القديم، ثم لا تلبث هذه الدول أن تنقض عليهم.

بدأ هرتزل مساعيه مع الدول الأوربية ذات الشأن، وأخذ يزعم أمام كل مسؤول في أوروبا بأن مخططه الصهيوني لن يخدم إلا مصالح تلك الدولة، وتارة يحاول إثارة التنافس الاستعماري بين هذه الدول. فقد اتصل هرتزل بالإمبراطور الألماني ولهلم الثاني في أكتوبر ١٨٩٨م أثناء زيارة الإمبراطور لتركيا. وطلب هرتزل من الإمبراطور الألماني السماح للصهاينة

(١) نقولا الدر، هكذا ضاعت.. وهكذا تعود، بيروت ١٩٦٣، ص ١٩-٣٢.

بتأسيس شركة لشراء الأراضي وتنميتها في فلسطين على أن تكون تلك الشركة تحت رعاية وحماية ألمانيا. وحاول هرتزل إقناع الإمبراطور الألماني بارتباط المصالح الألمانية بالمصالح اليهودية، وبأن ثقافة اليهود ألمانية في الصميم، وحاولت الصهيونية إغراء الألمان بتقديم المساعدات في المشروعات الاقتصادية (خط سكة حديد برلين - بغداد)[1]. وفشل هرتزل في جميع مساعيه.

أما فرنسا فلم تقدم على تأييد الصهيونية إيمانًا منها بأن الحركة الصهيونية ما هي إلا أداة في يد ألمانيا للإضرار بمصالح فرنسا، كما أن اليهود الفرنسيين لم يعتنقوا الصهيونية وظلوا يعارضون بشدة. وإلى جانب ذلك فقد كان الفرنسيون يخشون أن يترتب على تأييدهم للصهيونية نفور أنصارهم من العناصر المسيحية في بلاد الشام. ومن ناحية أخرى، فقد كان الصهيونيون في قرارة أنفسهم يفضلون، إذا ما أتيح لهم إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، ألا يكون تحت حماية فرنسا، خشية ألا تسمح فرنسا بقيام ثقافة يهودية مميزة عن الثقافة

(1) Esco - Foundation For Palestine: Astudy of Jewish, Arab and British Policy, vol.1. p. 43.

الفرنسية، وإنما ستصر على أن تطبع الحياة في البلاد التي تحت سيطرتها بالطابع الفرنسي، ومن ثم كان الصهيونيون يفضلون السيادة البريطانية[١].

ولم يتورع هرتزل عن الاتصال بوزير الداخلية الروسي بليفيه Bleve والذي عرفه اليهود جيدًا كجلاد لهم، زاعمًا أنه يحاول تخليص روسيا من الثوريين اليهود الذين ينتشرون في البلاد[٢].

اتجه هرتزل بعد ذلك إلى بريطانيا، وأثار القضية الصهيونية في الصحافة ومع الزعماء السياسيين من رجال الحكم. وكان الرأي العام البريطاني مهيأً للاستماع إلى هرتزل. ففي هذا الوقت بالذات كانت المسألة اليهودية تفرض نفسها على بريطانيا بوصول أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود قادمين من شرق أوربا، وشكلت لجنة ملكية لدراسة «مشكلة الهجرة الأجنبية». وكانت الحكومة البريطانية على وشك وضع قيود لوقف تيار تلك الهجرة، ولذا كان الوزراء البريطانيون على

(١) محمود حسن منسي، «فرنسا والصهيونية»، مجلة الشرق الأوسط، القاهرة، العدد الأول، يناير ١٩٧٤، ص ٢٢-٢٣.

(٢) انظر تفاصيل اتصالات هرتزل مع الدول المختلفة في مذكراته سالفة الذكر.
The Complete Diaries.

استعداد لتأييد أي مشروع من شأنه إيجاد منفذ لاستيعاب اللاجئين اليهود، الذين سيمنعون من دخول إنجلترا[١].

وفيما يتعلق بفلسطين، رفضت الحكومة البريطانية تعضيد مطامح الصهيونية فيها، خشية إغضاب الدولة العثمانية، مما جعل هرتزل يعرض مشروعات بديلة، فاقترح على جوزيف تشمبرلين Joseph chamberlain وزير المستعمرات أن يسمح لليهود باستيطان جزيرة قبرص، فرفضت بريطانيا طلبه، كما رفضت طلبًا آخر باستيطان اليهود في العريش[٢].

وإزاء فشل مشروع العريش عرضت بريطانيا على هرتزل أوغندا كمكان لاستيطان اليهود فيها. وقد أبدى هرتزل موافقته على ذلك بالرغم من معارضة كثير من زعماء الصهيونية لمشروع أوغندا في المؤتمر الصهيوني السادس الذي انفض بعد أن أوصى بإرسال بعثة استكشافية إلى أوغندا لدراسة إمكانية استعمارها على أن ترفع تقريرها للمؤتمر السابع، غير أن هرتزل كان قد توفي في ٣ يوليو ١٩٠٤ وذلك قبل انعقاد المؤتمر[٣].

---

(١) السيد رجب حراز، صفحات من تاريخ الصهيونية واسرائيل، ص ٤٦.

(2) Tylor, Alan, Prelude to Israel.p.8.

(3) Sokolov, N. History of Zionism, pp.296-297.

والحقيقة أن مشروع أوغندا كان منعطفًا خطيرًا في تاريخ الحركة الصهيونية، إذ دبّ على أثره الخلاف بين أنصار المنظمة الصهيونية فانقسموا إلى فريقين. «سياسيين» و «عمليين»، أما الفريق الأول فكان على استعداد لقبول فكرة الوطن البديل عن فلسطين، وأما الفريق الثاني «فريق العمليين» فقد رفض أن يقبل أي بديل عن فلسطين، وكان حاييم وايزمن ألمع زعماء هذا الفريق الذي اختير رئيسًا للمنظمة الصهيونية العالمية بدلاً من هرتزل المتوفى عام ١٩٠٤[١].

مارس وايزمن النشاط السياسي في فترة مبكرة من حياته، ثم هاجر إلى إنجلترا عام ١٩٠٤م، وتولى تدريس الكيمياء في جامعة مانشستر حيث حقق إنجازات علمية في إسقاط مشروع أوغندا إثر وفاة هرتزل[٢]. وكانت الأعوام العشرة التالية من أكثر سني حياته إنتاجًا وخدمة للحركة الصهيونية، ففي عام ١٩٠٦ اجتمع وايزمن مع آرثر جيمس بلفور وزير خارجية إنجلترا وشرح له سبب معارضته لمشروع أوغندا. ثم عمل وايزمن بعد ذلك وحتى عام ١٩١٧ على كسب ود جماعة من

(1) Weizmann, Chaim, Trial and Error, p. 121.

(2) Ibid. p. 96.

ذوي النفوذ في بريطانيا والذين باستطاعتهم دعم المطالب الصهيونية في أوساط الحكومة البريطانية ومن أبرز أولئك؛ هربرت صموئيل، واللورد روتشيلد، والمحامي نورمان بنتوش، والميجر أورمسبي غور، ورئيسا تحرير جريدتي التايمز والمانشستر جارديان[1].

ومهما يكن من أمر فإن العلاقة بين الصهيونية والإمبريالية علاقة قديمة قدم الحركة الصهيونية نفسها، إذ إنها علاقة وجودية ومصيرية من ناحية، كما أنها علاقة مصلحية من الناحية الأخرى، وتقوم على التلاقي بين الأهداف والمخططات والمصالح[2].

أما علاقة الصهيونية بالإمبريالية هي علاقة وجودية ومصيرية؛ لأن الصهيونية نفسها حركة استعمارية تقوم على استعمار الأرض واستيطانها بعد إخراج أهلها منها؛ ولأنها في واقعها تؤلف جزءًا لا يتجزأ من الرأسمالية العالمية التي تعتبر الإمبريالية أعلى مراحلها. ومن هنا يكون الترابط الوجودي

(1) Ibid. p. 100-120.

(٢) د. محمد أنيس، د/السيد رجب حراز، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، ص ٣٨٩.

والمصيري بين الصهيونية وبين الاستعمار العالمي من الناحية الأخرى[١].

وأما من ناحية علاقة المصلحية بين الصهيونية والإمبريالية، فالصهيونية كحركة عنصرية دينية تقوم على مبادئ الاستغلال والعدوان، وتستند إلى فكرة التوسع والسيطرة وتلجأ إلى أساليب العنف وسفك الدماء[٢].

ولا ريب في أن الاستعمار قد استفاد من الصهيونية وضرب عصفورين بحجر واحد، فاستطاع بواسطة الصهيونية أن يدفع بجماعات اليهود المهاجرة من شرق أوربا إلى فلسطين بدلاً من الهجرة إلى غرب أوربا وهذا ما كانت ترفضه الدول الأوربية وحتى الرأسمالية اليهودية في تلك الدول، كما أن الاستعمار استفاد من ناحية أخرى في قيام جسم بشري غريب في فلسطين يحفظ لتلك الدول الاستعمارية مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية الهامة في منطقة الشرق العربي الإسلامي.

ولم تمض عشرة أعوام على انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول

---

(١) محمد أنيس والسيد رجب حراز، الشرق العربي في التاريخ الحديث المعاصر، ص ٣٨٩.

(2) Lenzowski,G.:, The Middle. East in World Affairs. p.299.

في بازل بسويسرا، حتى كان الاستعمار يحدد أهدافه أيضًا. فقد عقد مؤتمر عالمي للدول الاستعمارية في عام ١٩٠٧م في لندن وعدة عواصم أوربية استعمارية، وخرج في النهاية بمجموعة من التوصيات، كان أهمها تلك التي تبادلت شؤون الوطن العربي[١].

وتضمنت هذه التوصيات حسبما جاء في تقرير كامبل بازمان رئيس وزراء بريطانيا آنذاك أن الخطر الذي يهدد الاستعمار الغربي يكمن في البحر المتوسط الذي يؤلف حلقة الاتصال بين الشرق والغرب، والذي يقيم على سواحله الشرقية والجنوبية، شعب واحد، يتميز بكل مقومات التوحد والترابط، بما في أراضيه من كنوز وثروات تتيح لأهلها مجال التقدم والرقي في طريق الحضارة والثقافة. وأوصى التقرير لمواجهة هذا الخطر، بأن تعمل الدول الاستعمارية على تجزئة هذه المنطقة[٢]، والإبقاء على تفككها، ومحاربة أي اتحاد يقوم بين أجزائها، والسعي الدائب إلى تفسيخها عمليًا وفكريًا وتاريخيًا، واقترح التقرير كوسيلة عاجلة العمل على فصل مشرق الوطن

(1) Kirk, G., Ashort History of the Middele East, p.149.

(٢) خيري حماد، الوجود الإسرائيلي في المخطط الاستعماري، بيروت ١٩٦٢م.

العربي عن مغربه، وإقامة حاجز بشري غريب في نقطة التقاء هذين الجزأين، يمكن للاستعمار أن يستخدمه كأداة في تحقيق غرضه[١].

ومما يجدر ذكره أن بريطانيا كانت لها أطماع في فلسطين منذ الحملة الفرنسية على فلسطين في عام ١٧٩٩، وذلك لأهمية موقع فلسطين استراتيجيًا وعسكريًا ودينيًا واقتصاديًا؛ ولذا نجد أن بريطانيا عارضت محمد علي لاحتلاله بلاد الشام وأجبرته على الانسحاب بموجب معاهدة لندن عام ١٨٤٠م، وفتحت بريطانيا أول قنصلية لها في القدس عام ١٨٣٨م، وكانت مهمتها حماية الجالية اليهودية في فلسطين بقصد استمالة اليهود إلى جانب بريطانيا ضد الدولة العثمانية، كما عملت القنصلية البريطانية جهدها لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين لأسباب استعمارية[٢].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد اشتركت بريطانيا مع روسيا في إنشاء أول أسقفية في القدس عام ١٨٤١م، وعينت الكنيسة يهوديًا متنصرًا أسقفًا عليها يدعى سلومون الإسكندر.

---

(١) خيري حماد، الوجود الإسرائيلي في المخطط الاستعماري، بيروت: ١٩٦٦.

(٢) عبدالوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص ٢٧.

ولعبت كذلك شخصيات بريطانية دورًا في تقوية الفكرة الصهيونية، مثل اللورد شافتسبري الذي قدم مذكرة إلى مؤتمر لندن عام ١٨٤٠م يطلب فيها إرجاع اليهود إلى فلسطين، كما أن موسى مونتفيوري حصل ليهود دمشق ورودس على بعض الحقوق من السلطان عبدالمجيد، وأنشأ أول مدرسة يهودية في فلسطين عام ١٨٣٥م، كما كان أول يهودي أجنبي استملك أرضًا في فلسطين بموجب مرسوم حصل عليه من السلطان عبدالمجيد أيضًا[١].

وانطلاقًا من هذه المخططات البريطانية اندفع قادة الصهيونية نحو بريطانيا لتحقيق أهداف الصهيونية في فلسطين، وبذل وايزمن ورفاقه جهودًا مكثفة لكسب تأييد المسؤولين البريطانيين إلى جانب المخطط الصهيوني[٢]. كما لعب صهاينة الولايات المتحدة دورًا ناجحًا وهامًا في كسب وإدخال أشخاص يتمتعون بنفوذ ومركز قوة إلى الصفوف الصهيونية. وتعاون وايزمن ورفاقه في لندن مع براندیس ورفاقه في الولايات المتحدة الأمريكية تعاونًا وثيقًا، ونجحا في

---

(١) نقولا الدر، هكذا ضاعت.. وهكذا تعود، ص ٢٤-٢٦.

(2) Encyclopedia of zionism and Israel,vol.1(New York 1971) col.4/2.

استصدار تصريح بلفور من قبل الحكومة البريطانية وتدعمه الولايات المتحدة الأمريكية[١].

ويعتبر تصريح بلفور أهم تطور حققه الصهاينة بعد مؤتمر بازل الأول، فقد استطاع الصهاينة بوساطة هذا التصريح إيجاد الركيزة التي يستندون عليها في عملية الاستيطان الجماعي في فلسطين بهدف تحويلها في النهاية إلى دولة يهودية.

وينص تصرح بلفور الصادر في الثاني من نوفمبر عام ١٩١٧م والموجه من وزير الخارجية البريطانية آرثر جيمس بلفور إلى الزعيم الصهيوني اللورد روتشيلد على ما يلي:

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جليًا، أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية، والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق، والوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى»[١].

---

(1) steim.Leonorel. The Balfour Declaration, p. 531.

(2) Horewitz,J.C. Diplomaey in the Near and Middle East vol.2, p. 26.

وعلى العموم، فإن موافقة بريطانيا على إصدار تصريح بلفور لم يكن اقتناعًا منها بحق اليهود في فلسطين فحسب، بل إن عدة اعتبارات سياسية وعسكرية حملتها على ذلك، ومن هذه الاعتبارات ما له ارتباط وثيق بوضع قناة السويس، وتأمين مواصلات بريطانيا مع مستعمراتها، ومنها أيضًا أن الحكومة الألمانية كانت تبذل المساعي الجادة للسيطرة على الحركة الصهيونية[١]. كما أخذت بريطانيا بعين الاعتبار إمكان استخدام الصهيونية لمواجهة حركة التحرر القومي العربية في بلاد الشام والعراق وغيرها[٢].

ولا شك أن الساسة البريطانيين قد نظروا إلى الحركة الصهيونية نظرة استعمارية، إذ إنهم وجدوا أنهم يستطيعون من خلالها وعبر قنواتها أن يقيموا وجودًا دائمًا في الشرق العربي بخاصة والشرق الإسلامي بعامة. ويؤكد ذلك ما قاله لويس جولدنج "Lewis Golding" إن الصهيونية كانت منذ البداية حركة إنجليزية لا حركة يهودية فحسب»[٣].

(1) Sykes, Christopher, Cross Roads to Israel, (london 1965) p.40

(٢) أميل نوما، جذور القضية الفلسطينية، بيروت ١٩٧٣، ص ٨٢.

(3) Golding, lewis: The Jewish proplem. (London 1949) p. 183.

وقد ذكر ونستون تشرشل "Winston churchill" في الجلسة التي وافق فيها مجلس الوزراء البريطاني على وعد بلفور: «إن قيام وطن قومي لليهود في فلسطين يخدم أهداف بريطانيا من حيث إنه يساعدها على مواجهة تناقص المصالح الحادة بينها وبين العرب. هذا الوطن القومي لليهود في فلسطين سوف يكون عازلاً يفصل بين العرب شرق سيناء والعرب غرب سيناء، ثم إن هذا الوطن القومي لليهود سيكون بحاجة إلى الدفاع عن نفسه ضد الامتداد العربي الواسع، وسوف يبقى في أحضان الغرب الذي يستطيع في أي وقت أن يستعمله كقاعدة للعمل ضد أي تهديد لمصالح الإمبراطورية البريطانية في مصر من ناحية أو في العراق من ناحية أخرى، كذلك فإن هذا الوطن القومي لليهود سوف يشغل العرب ويمتص طاقاتهم ويستنزفها أولاً بأول»[1].

والواقع إن تصريح تشرشل يكشف بوضوح وجلاء أهداف السياسة البريطانية بخاصة والسياسة الاستعمارية بعامة في منطقة الشرق العربي. تلك السياسة التي رسمها مخططو

(1) Parlimentary Debates, House of commons.vol.2, col. 400.
وانظر جريدة الأهرام، ١٩٦٩/١٠/٣١م نقلاً عن وليم فهمي، الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، ص ٣٦٦.

ومنظرو السياسة الاستعمارية والتي لازالت قائمة حتى اليوم بالرغم من انحسار النفوذ البريطاني من المنطقة العربية، غير أن الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بهذا الدور الآن والذي حددته السياسة الاستعمارية حسب ما جاء في تقرير كامبل بانرمان الذي أشرنا إليه آنفًا.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هل يحق لبريطانيا وهي لا تملك فلسطين أن تصدر هذا الوعد؟ والجواب على ذلك هو:

١- ليس من حق بريطانيا أن تصدر وعدًا تمنح بموجبه بلادًا لا تملكها ولا تسيطر عليها، ولم يكن لها سلطان للتصرف في أراضيها وقيل: «لقد أعطى من لا يملك وعدًا لمن لا يستحق».

٢- جاء في عد بلفور: «ينشأ في فلسطين» أي أن إنجلترا لم تتعهد بأن تكون فلسطين كاملة وطنًا قوميًا لليهود، فإن عبارة وطن قومي تعني الملجأ أو المأوى الذي يستطيع اليهود أن يفروا إليه من الاضطهادات التي تعرضوا لها في أوربا.

٣- وجاء في تصريح بلفور عبارة أن «لا يسمح بإجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين...» وهذه العبارة مضللة وغريبة، فقد عدت بريطانيا مسلمي

فلسطين ويمثلون ٩٠٪ من السكان (أي الأكثرية) طائفة في حين لا يمثل اليهود سوى ٢٪ فقط إذا اعتبرت بريطانيا أن فلسطين بلاد يهودية والسكان من غير اليهود أقليات ضئيلة، والحقيقة أن المسلمين في فلسطين يشكلون غالبية السكان ٩٠٪ ويعيشون في فلسطين دون انقطاع منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام[١].

٤- وينص التصريح على المحافظة على الحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى وبمركزهم السياسي فيها، ويلاحظ أن اليهود أنفسهم هم الذين طلبوا ذلك لأن عددًا كبيرًا من اليهود يعيشون في أمريكا وفي دول أوربا، وهم ممن تجنسوا بجنسية البلاد التي يقيمون فيها، ويخشون من أن إنشاء الدولة اليهودية قد يحرمهم من جنسيتهم التي يحملونها ونشاطهم الاقتصادي الذي يزاولونه. ولا شك أن هذه العبارة الأخيرة في الوعد «على أن لا يضر الوعد بالحقوق والوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى» دليل واضح على أنه ليس لهم أي حق في

(١) د./إسماعيل ياغي ومحمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي، الرياض ١٤٢٢، ص ١٠٧-١٠٨.

فلسطين على الإطلاق، فالإنسان الذي يسعى للعودة إلى وطنه لا يحتفظ بجنسية البلد التي عاش فيها إلا إذا كان يعرف تمامًا أنه لا حق له في هذه البلاد فلسطين[١].

وهناك سؤال آخر يطرح نفسه وهو لماذا أصدرت بريطانيا وعد بلفور؟ وما الأسباب التي دفعتها إلى ذلك؟

يعزو بعض المؤرخين والمعاصرين أسبابًا متعددة لصدور وعد بلفور، فعزاه بعضهم إلى رغبة الحلفاء في كسب الحركة الصهيونية إلى جانبهم حتى تقوم بدور المخرب في ألمانيا والدول المتحالفة معها. وعزاه بعضهم الآخر إلى رغبة إنجلترا في دفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى الدخول في الحرب إلى جانبها سيما وأن اليهود يسيطرون على الرأي العام الأمريكي. وقيل أيضًا: إن الحكومة البريطانية أعطت وعد بلفور رغبة منها في مكافأة وايزمن على اختراعه مادة الأسيتون التي تدخل في صناعة الذخائر والمتفجرات، الأمر الذي ساعد بريطانيا على كسب الحرب العالمية الأولى[٢].

---

(١) د/إسماعيل ياغي ومحمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي، ص ١٠٧-١٠٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٦.

وواقع الأمر أن العوامل التي دفعت بريطانيا إلى احتضان الحركة الصهيونية وإصدار وعد بلفور يمكن ردها إلى أربعة عوامل رئيسة:

١- محاولة إبقاء روسيا في الحرب بعد قيام الثورة الشيوعية فيها وسقوط القيصر؛ لأن اليهود كانوا يسيطرون على الصناعة في روسيا ولا سيما الصناعات الحربية، ولهم دور قيادي واضح في الثورة الشيوعية.

٢- الرغبة في سيطرة بريطانيا على فلسطين لحماية مركزها في مصر ولتأمين طرق مواصلاتها البرية في الشرق، خاصة وأن فلسطين غدت ذات أهمية إستراتيجية لبريطانيا خلال الحرب.

٣- إفادة بريطانيا من وجود دولة يهودية في فلسطين تقوم تحت حماية التاج البريطاني يخدم المصالح البريطانية، وتستطيع بريطانيا استخدام الصهيونية في مواجهة حركة التحرر القومي العربية في الشرق العربي.

٤- الحقد الصليبي على المسلمين منذ الحروب الصليبية والذي أثار الأوروبيين قرونًا طويلة لسيطرة النصارى على القدس[١].

(١) المرجع نفسه، ص ١٠٦-١٠٧.

ويتضح مما سبق أن الصهيونية كانت تعد بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بأن تحول فلسطين من أرض مسلمة إلى قطعة من الغرب بما يضمن للدول الاستعمارية بوجه عام وبريطانيا بوجه خاص وجودًا مستديمًا في العالم الإسلامي. ومما يؤكد هذه الحقيقة أن الحركة الصهيونية قد تحالفت بادئ ذي بدء مع الاستعمار البريطاني، وعن طريق هذا التحالف كانت بريطانيا تتطلع للوصول إلى فلسطين، وقد قال أحد الساسة الإنجليز وهو لويس جولدنج: «إن الصهيونية كانت منذ البداية حركة إنجليزية وليست حركة يهودية فحسب»[١].

وتطورت السياسة البريطانية تجاه الصهيونية من العطف كما جاء في تصريح بلفور عام ١٩١٧ إلى الالتزام بتنفيذ ما جاء في التصريح، وذلك في أعقاب الاحتلال البريطاني لفلسطين بقيادة الجنرال: إدموند اللنبي Edmond Allenby الذي دخلت جيوشه مدينة القدس في ١١ ديسمبر ١٩١٧ أي بعد فترة وجيزة من إعلان ذلك التصريح[٢]. وأعلن اللبني الأحكام

(1) Golding, lewis, The Jewish Problem, London 1944, p.183.

(٢) عبدالوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، بيروت ١٩٧٠، ص ١٠٣.

العسكرية، وشكل إدارة عسكرية تتولى شؤون البلاد. وقد اتصفت فترة الحكم العسكري بثلاثة مظاهر رئيسة هي: الحكم المطلق، وسيطرة العناصر اليهودية على الإدارة العسكرية، والمحافظة على بعض الأنظمة العثمانية في إدارة البلاد والتي كانت تخدم أهداف ومصالح الاحتلال العسكري في فلسطين(١).

ومهما يكن من أمر، فإن الصهاينة لم يكتفوا باستصدار وعد بلفور، بل عملوا بكل طاقاتهم من أجل كسب تأييد الدول الكبرى لكي يكتسب التصريح شرعية دولية، وقد أثمرت جهودهم عندما حصل الوعد على تأييد دولي قبل صدوره من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك وافقت عليه فرنسا وإيطاليا وغيرها من الدول. وليس هذا فحسب بل نشط الصهاينة في مؤتمر الصلح المنعقد في باريس عام ١٩١٩ بأن تكون بريطانيا هي الدولة المنتدبة على فلسطين لتسهيل تحقيق الوطن القومي اليهودي(٢).

وفي ٢٥ أبريل ١٩٢٠، قرر مجلس الحلفاء الأعلى المنعقد

---

(1) Encyclopedia of Zionism and Israel Vol 2. col.749

(٢) إسماعيل ياغي، الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية، ص ٦٠.

في سان ريمو في إيطاليا وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني بهدف تنفيذ وعد بلفور. وقبل أن تصادق عصبة الأمم على هذا القرار كانت بريطانيا قد أصدرت قرارًا بتعيين هربرت صموئيل مندوبًا ساميًا لها على فلسطين، وهو أحد كبار الصهاينة البريطانيين، والذي كانت له اليد الطويلة في إصدار وعد بلفور[١].

وهكذا تشكلت الإدارة المدنية الجديدة التي أخذت على عاتقها تنفيذ السياسة البريطانية بجعل فلسطين وطنًا قوميًا لليهود وذلك أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين.

وكانت بريطانيا قد قدمت مشروع صك الانتداب إلى عصبة الأمم كما اقترحته الحركة الصهيونية دون تبديل أو تعديل، فأقرته العصبة في ٢٤ يوليو عام ١٩٢٢ استنادًا إلى المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم[٢]. فاكتسبت بريطانيا حقًا شرعيًا دوليًا في تنفيذ الوعد.

---

(1) Government of Palestine. Asurvey of Palestine, vol. Jerusalem 1940, P.I.

(2) Hansards P.D. House of Londs, vol. 44. col. 1062, 20 th April 1921.

وقد ذكر اللورد لامنجتون Lamington بأن صك الانتداب يتعارض مع المادة ٢٢ من الميثاق؛ لأن المادة المذكورة تدعو إلى استشارة الشعب الفلسطيني وأخذ رغبته في قبول الانتداب، وهذا لم يتم باعتراف الحكومة.

ويتكون صك الانتداب من مقدمة وثمان عشرين مادة، وتضمن مقدمة صك الانتداب نص وعد بلفور وموافقة دول الحلفاء على إنشاء الوطن القومي اليهودي ومسؤولية الدولة المنتدبة عن إنشاء هذا الوطن. كما نصت الفقرة الثانية من مقدمة صك الانتداب على «الاعتراف بصلة الشعب اليهودي التاريخية بفلسطين، وبأسس إعادة بنائهم لوطنهم القومي في ذلك البلد[١]. وعلى ذلك، فقد كان صك الانتداب نصرًا آخر للصهيونية إذ حوى هاتين الفكرتين اللتين خلا منهما وعد بلفور.

وعملت بريطانيا على خلق الظروف الملائمة للاستعمار الصهيوني، فعينت بضغط من الصهيونية الصهيوني المتحمس هربرت صموئيل كأول مندوب سام لها في فلسطين[٢] واعترفت بالأنظمة الصهيونية كبديل عن الوكالة اليهودية التي نص على قيامها صك الانتداب كما نصت عليه المادة الرابعة من الصك[٣]. ولم يبق لصك الانتداب إلا أن يوجد الشعب

(١) فايز صايغ، الدبلوماسية الصهيونية، بيروت ١٩٦٧، ص ١٤٤.

(2) Hansards P.D. House of Lords, vol. 49. col. 147 14 Feb 1922.

(٣) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين، صك الانتداب على فلسطين، وثيقة رقم ٣٧ ص ١٣١ جاء في المادة الرابعة من صك الانتداب، الاعتراف بالجمعية الصهيونية كهيئة استشارية يناط بها جميع الأمور التي لها علاقة بالوطن القومي اليهودي.

الذي لابد منه لتنفيذ المؤامرة، فنصت المادة السادسة على وجوب تسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وأن يستقروا في الأراضي الأميرية والأراضي الموات غير المطلوبة[١].

وغدت بريطانيا مسؤولة عن جعل فلسطين في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي فيه كما جاء في المادة الثانية من الصك، ففتحت أبواب المناصب العليا لليهود على الرغم من قلة عددهم، وأصبحت اللغة العبرية إحدى ثلاث لغات رسمية في البلاد (إنجليزية وعربية وعبرية)[٢]. وحصل بنحاس روتنبرغ على مشروع كهرباء فلسطين، وتشكلت في المدن والمستعمرات اليهودية هيئات سياسية ودينية واجتماعية لها مميزات قومية[٣].

---

(١) المصدر نفسه.

(2) Hanasrds P.D.House of Lords calonel syend ham, vol 49 col. 147 (14 Feb 1922)

وقد سأل اللورد: كيف تقرر الحكومة فرض اللغة العبرية بالقوة في بلاد لا يتكلم فيها هذه اللغة سوى ٥٪ من السكان فقط.

(٣) الوثائق الرئيسة في قضية فلسطين، الكتاب الأبيض ١٩٢٢، وثيقة رقم ٢٩ ص ١٥٦ ويذكر تشرشل في كتابه الأبيض: «.. ولكن حتى يكون للطائفة اليهودية أمل في تقدمها الحر ويفسح للشعب مجال واسع ولكي يظهر مقدرته، كان من الضروري أن يعلم بأن وجوده في فلسطين هو حق وليس منة».

وعلى العموم، فقد حقق هربرت صموئيل أهداف الصهيونية، فعمل على تشجيع الهجرة اليهودية، وزاد عدد اليهود خلال فترة حكمه من ٥٥ ألفًا إلى مائة وثمانية آلاف نسمة، وازداد عدد المستعمرات اليهودية من أربع وأربعين إلى مائة مستعمرة، وانتهى عهده بافتتاح الجامعة العبرية في القدس في إبريل ١٩٢٥[١].

وهكذا حققت الصهيونية هدفها الأول في تأسيس الوطن القومي اليهودي بالدعم الدولي والبراءة الملكية البريطانية بصفة خاصة. كما لعبت الوكالة اليهودية في فلسطين دورًا هامًا لخدمة أغراض الصهيونية، إذ جرى تنسيق كامل بين حكومة الانتداب والمنظمة الصهيونية العالمية بشأن وضع الوكالة اليهودية والتي أصبحت حكومة فعلية ضمن حكومة الانتداب البريطاني، وكانت الوكالة تعنى بالكثير من نواحي حياة اليهود عن طريق دوائرها المختصة سياسيًا وماليًا وتعليميًا واستيطانيًا[٢].

---

(١) تقرير المندوب السامي البريطاني عن إدارة فلسطين (١٩٢٠-١٩٢٥) إلى وزير المستعمرات البريطاني، القدس في ٢٢ أبريل ١٩٢٥، ص ٣٢-٤٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٧.

وعمل قادة الصهيونية على طرد سكان فلسطين ورفعوا شعار المناداة: «إعطاء الشعب الذي لا أرض له، أرضًا لا شعب فيه»[١].

To give to the people without land, a land without people

وناقشوا فيما بينهم جميع الوسائل الكفيلة بطرد السكان العرب وتسريبهم عبر الحدود، ولم يعيروا وجود الشعب الفلسطيني أي اهتمام بل لم يقيموا له وزنًا أو أهمية على الإطلاق[٢].

وانطلاقًا من الاستراتيجية الصهيونية عملت الصهيونية على تنشئة الفرد اليهودي تنشئة إرهابية تدفعه إلى الحقد على الإنسان العربي، والنظر إليه نظرة عدم اكتراث، فكانت التربية الصهيونية للفرد اليهودي تربية ارهابية عنصرية[٣].

(١) يوسف صايغ، الاقتصاد الإسرائيلي، القاهرة ١٩٦٤، ص ٣٠.

(2) P.D. house of Lords, lord Regan vol. 61, col. 419 20 th May 1925.

(٣) سعد رزق، إسرائيل الكبرى، بيروت ١٩٦٨، ص ٨٤.